أمام الارض

الدكتور الياس شوفاني

في جوهره ، يدور الصراع على الساحة الفلسطينية ، بين الشعب العربي الفلسطيني ، صاحب البلد الاصيل ، وبين المستوطنين الصهاينة على العلاقة برقعة الارض الفلسطينية اياها. فبينما ناضل الشعب الفلسطيني ، وما يزال، من اجل البقاء على الارض والحفاظ على علاقته بها، ليس كوسيلة انتاج فحسب، وانما كوطن قومي ايضا، سعى المستوطنون ، وما انفكوا ، الى استكمال عملية اجلاء هذا الشعب عن الارض ، وقطع علاقته بها . كل ذلك من اجل فرض علاقة جديدة على تلك الارض ، تصبح معها ، ان هي استسلمت لذلك ، وطنا قوميا « للشعب اليهودي » ، غير المحدد الهوية ، وبالتالي قاعدة للامبريالية ضد حركة جماهير الامة العربية المتطلعة الى التحرر والوحدة ، اذ لا مجال لنجاح عملية الفرض هذه دون تأمين القاعدة العدوانية ، كونهما رديفين .

ومازال هذا الصراع محتدما منذ حوالي قرن من الزمن، وليس هناك ما يشير الى انه اوشك على ايجاد حل له ، وعلى الاقل ، ليس في اطار الكلام الدائر حاليا حول التسويات منذ حرب تشرين . واما الشعب الفلسطيني، فقد خطى بقيادة ثورته المسلحة، خطوة كبيرة نحو توفير امكانات الحل ، عندما قبل بمبدأ المشاركة في الانتماء الى الارض ، شرط التساوي في الحقوق والواجبات. ولكن الكيان الاستيطاني ، ممثلا بقيادته الصهيونية الحالية، ما زال يرفض هذا المبدأ ويمعن في العمل على تجسيد المشروع الصهيوني — تهويد الارض ، كل الارض في فلسطين وربما فيما وراء حدودها المتعارف عليها حاليا . وهو ان قبل ببقاء بعض العرب الفلسطينيين على الارض ، فانما ذلك لضرورات المرحلة ، والى ان تحين الظروف المؤاتية لطردهم منها . والشعارات التي رفعها المستوطنون في مسيرة « ارض اسرائيل » ، بقيادة « غوش ايمونيم » (حركة ارض اسرائيل الكاملة) ، تعبر اصدق تعبير عن الاهداف غير المعلنة للعدو . وكان هؤلاء قد رفعوا الشعار : « اما ارض للعرب فنعم ، واما ارض عربية فلا » . وهذا الاصرار الصهيوني على توسيع رقعة استيطانه ، وما يترتب عليه من مصادرة للاراضي وتهويدها ، كان عاملا رئيسيا في انتفاضة الضفة الغربية اخيرا ، وهو الذي فجر الصدام الدموي في « يوم الارض » بالجليل .

ويوم الارض في الجليل طفرة اخرى ، متميزة في نوعها وتصاعد درجة عنفها ، في سلسلة نضال شعبنا الرازح تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ . وهي حلقة جديدة تفتح